كيف وافق النبلاء الايرلنديون على عرض مستشاري الملك

عندما سمع النبلاء الايرلنديون محتويات رسائل الملك، استولى الشره على عقولهم جميعاً، فتآمروا جميعاً أحدهم مع الآخر، فبعثوا رسلاً مع رسائل إلى مستشاري الملك المتقدم ذكرهم، مع توصية بالسرية، وقد أخبروهم أنه إذا ماجرى تأكيد الوعود الواردة في صك الملك، فلسوف يتولون تنفيذ الخطة، وقام مستشارو الملك بعد هذا، فعملوا بموجب صك ملكي منحة لهم جميع امتيازات المارشال، بحيث يجري تقسيمها فيما بينهم، فوزعوا أولاً الأماكن، ثم المقتنيات، وبعد ذلك الامتيازات التي سوف توزع عليهم جميعاً، وعندما تسلم هؤلاء الخونة الايرلنديون هذه الوثيقة، قاموا على الفور بربط أنفسهم بيمين بأن يتولوا تنفيذ الخطة المقيتة، عندما تتوفر لديهم الفرصة، وهكذا تآمروا ضد حياة انسان بريء، وقاموا على الفور بغزو بلاد المارشال، واستولوا على بعض القلاع العائدة له، وتوازعوا الأسلاب فيما بينهم.

مقتل الهراطقة الألبيين في معركة قتالية

وصار في هذا العام الهراطقة الألبيين في اسبانيا وفي تلك المناطق جريئين جداً، إلى حد أنهم رسموا أساقفة هراطقة للتبشير بعقائدهم الشريرة، وأعلنوا أن الديانة المسيحية وبشكل خاص أسرار التجسيد هي زائفة، وينبغي ازالتها كلياً، كما أنهم حشدوا جيشاً وغزوا مناطق المسيحيين، وأحرقوا الكنائس، وذبحوا المسيحيين من كلا الجنسين ومن جميع الأعمار من دون رحمة، لكن عندما انتشرت أخبار هذه الواقعة في الخارج، جرى على الفور ضبط ادعاءاتهم الخرافية، من قبل الأتباع المخلصين للمسيح، الذين حملوا الصليب بناء على دعوة من البابا غريغوري، وقدموا من مناطق الغرب من أجل الدفاع عن الإيمان المسيحي، وفي معركة تصادمية جرت في الربيع، جرى ذبح هؤلاء الهراطقة مع أساقفتهم حتى آخر رجل منهم، ثم استولى الصليبيون على

مدنهم وتملكوها، ووضعوا أتباع المسيح فيها، ورسموا كذلك أساقفة كاثوليك فيهم، ثم عادوا منتصرين إلى بلدانهم، والذين كانوا قد قدموا إلى هناك رجالاً فقراء، عادوا إلى مواطنهم أغنياء.

نصيحة الأساقفة إلى الملك حول الاضطرابات في المملكة

عندما كانت هذه الأحداث تقع في اسبانيا، عقد الملك الانكليزي في يوم طهارة القديسة مريم مؤتمراً في ويستمنستر، فيه وجّه اللوم بحدة إلى بعض الأساقفة، وبشكل خاص إلى الاسكندر أسقف شيستر، لأنه كان صديقاً للمارشال، واتهمهم بالسعي لطرده من العرش ومن المملكة، وعلى كل حال، عندما سمع ذلك الأسقف نفسه قد أتهم على هذه الصورة، وضع على نفسه ثيابه الحبرية، وحرم كنسياً جميع الذين كانوا فعلة هذه الجريمة ومقترفيها ضد الملك، ثم إنه بناء على وساطات الأساقفة الآخرين، صار الملك راضياً عنه، وكان المعلم ادموند، رئيس الأساقفة المنتخب لكانتربري، حاضراً مع عدد من أساقفته المساعدين، ولقد عبّروا جميعهم عن أسفهم تجاه عزلة الملك والمملكة، وأخبروا الملك، وهم يتحدثون من قلوبهم قائلين:

«مولانا الملك، إننا سوف نحدثك باسم الرب، ونخبرك أن النصيحة التي تلقيتها الآن وعملت بموجبها، أي نصيحة بطرس أسقف وينكستر، وبطرس دي ريفول، هي ليست حكيمة، وليست سليمة، بل هي على العكس وحشية، وخطرة عليك شخصياً وعلى المملكة كلها، فهما بالمقام الأول يكرهان الشعب الانكليزي، وكلاهما يدعوان أفراده خونة لهما نفسيهما، كما أنهما جعلا الآخرين يدعوانهما كذلك، ولقد نأيا بعواطفك عن شعبك، ونأوا بعواطف شعبك عنك، كما هو واضح من سلوك المارشال، الذي هو أفضل رعاياك في ممالكك، وبالكذب الشرير الذي يخبراك به حول شعبك قد أفسدا جميع أقوال رجال شعبك وأفعالهم، وانه بموجب العمل بناء على نصيحة هذا الرجل نفسه، أي

الأسقف المذكور، قد فقد والدك أولاً عـواطف شعبه، وخسر بعد ذلك نورماندي وبعض المناطق الأخـرى، وأخيراً ثروته، وتقريباً جميع السلطة على انكلترا، ولم يتمتع بعد ذلك بالهدوء، وانه بسبب نصائح هذا الرجل نفسه تشوشت المملكة، ووضعت تحت الحرمان من شراكة المؤمنين، وفي النهاية جلبت هذه الاضطرابات الموت إلى أبيك، وبموجب مشورة هذا الرجل نفسـه، في أيامنا هـذه، جـرى انتـزاع قلعـة بدفـورد منك، ولهذا السبب نفسـه خسرت بلدة روشيـل، ومجدداً إن هذا التمـرد الذي يهدد الآن مملكتك، كـانت أسبابه الآراء الاستشـارية الشريرة لهذين الرجلين، لأنه لو أن شعبك قـد حكم وفقاً لأحكام العـدل، وللشرائع الصحيحة العائـدة للبلاد، مـاكان لهذا الاضطراب أن يحدث، ولما كـانت ممتلكاتك قـد تعرضت للعيث فسـاداً فيها، ولما كـانت أموالك قـد أنفقت، ونحن نقـول أيضـاً، بحكم الولاء الـذي ندين به إليك، بـأن خططك ليست الخطط التـي سـوف تقـدم السـلام إلى مملكتك، بل فقـط ستسبب الاضطراب لأن هـذين الرجلين، بحكـم تكوينهما لايستطيعـان زيادة ثرويتهما بوسـاطة السـلام، وهما لذلك يسعيـان لإثارة الاضطراب بتشـويش شعب المملكة، وبتجريد الآخـرين من ممتلكاتهم، وكـذلك بما أنهما يضعان بين أيديهما قلاعك وقـوة ممالكك، يظهرانك وكأنك لاتضع ثقة بشعبك، وكـذلك بما أن خزينتك بين أيديهما مع ايداعـاتك الرئيسية ومـواريثك مـوجـودة تحت اشرافهما، فإن نوع الحسـاب الذي سـوف يقـدمانه لك سـوف تجده فيما بعـد، وكذلك أيضـاً من النادر أن تجد أي عمل له أهميـة في المملكة، موضـوع تحت ختمك ويعمل به بموجبـه أو بمـوجب تفـويضك، هو ليس أيضـاً تحت ختـم وترخيص بطرس دي ريفـول، ومن ذلك واضح تمامـاً أنهما لايعـدانـك ملكاً على الاطلاق، ومجدداً، جـرى في المؤتمر نفسـه صرف جميع الـرعـايا الطبيعيين لمملكتك من بلاطك، ولذلك نحـن نشعـر بالخوف عليك وكـذلك على المملكة، وبقدر مـانعرف هو أنك تحت حكمهما أكثـر مما هما تحت حكمك، فهذا

واضح ومبرهن عليه بكثير جداً من الشواهد، وكذلك هما يضعان تحت اشرافهما أميرة بريتاني وأختك، ومثل ذلك عدداً من النساء النبيلات والفتيات، مع الوصاية عليهن ومع حصص الزواج، وقد حطّا من شأن هؤلاء بتزويجهن من أصدقائهما، وكذلك أساءا تطبيق العدالة وحرفاها، ومثل هذا فعلا بشريعة الأرض، التي أقسمت على الدفاع عنها تحت طائلة الحرمان الكنسي، ولذلك هما يستحقان الحرمان الكنسي، ونحن نخشى أن تنال العقوبة نفسها لتواصلك معهما، وأيضاً هما لم يفيا بوعودهما إلى أي انسان، وهما لايحافظان على الوفاء، ولا على أيمانهما، ولايلتزمان بأية اتفاقية مكتوبة، كما أنهما لايخافان من الحرمان الكنسي، ولذلك فإن الذين ابتعدوا عن الصدق سقطوا في حالة اليأس، أما الذين التزموا بالصدق فهم في حالة خوف وترقب، ونحن نقول هذا بإيمان صالح، ونحن ننصحك أمام الرب والبشر، ونرجوك ونحذرك كي تصرف مثل هذين المستشارين، ومثلما هي العادة في البلدان الأخرى أن تحكم بلدك أيضاً بوساطة مساعدة رعاياك المخلصين والذين أقسموا على الولاء لك من أهل مملكتك، هذا ويتوجب علينا أن نخبرك بحقيقة أنك مالم تقم بتقويم هذه المخالفات في وقت قصير، إننا سوف نسير للترافع بوساطة إجراءات العقوبات الكنسية ضدك وضد جميع الآخرين من المخالفين ونحن فقط ننتظر تكريس أبانا المحترم رئيس الأساقفة المنتخب لكانتربري»، وإثر سماع هذه الكلمات طلب الملك راجياً بكل تواضع منحه فرصة قصيرة من الوقت، قائلاً بأنه لايستطيع صرف مستشاريه هكذا فجأة، حتى يتسلم منهما حساباً عن المال المعهود به إليهما، وهكذا انتهى المؤتمر، وغادر الجميع وهم يحملون آمالاً مؤكدة بالحصول سريعاً على السلام في المملكة.

كيف خرج النبلاء المطرودين وباشروا أعمال الانتقام

وبعد انقضاء ذلك المؤتمر ذهب الملك إلى برومهولم Bromholm

ليمارس تعبداته، وعبر وهو على طريقه بكنيسة بلدة القديس ادموند، وقد أثيرت شفقته، فمنح إلى زوجة هيوبرت دي بورغ ثماني عزب من أراضي زوجها، التي كانت آنذاك تحت عهدة روبرت باسلوي، وذلك بناء على أوامره، ثم إنه بعدما أدى تعبداته رجع إلى الجزء الغربي من المملكة، ووصل إلى بلدة هنتنغدون، وأثناء إقامته في هذا المكان الأخير، ذهب رتشارد سيوورد بصحبة غيلبرت باسيت وآخرين من النبلاء المطرودين إلى ألموندبري Almondbury وكانت بلدة عائدة إلى ستيفن سيغريف، وتبعد ميلين عن المكان الذي كان فيه الملك، وأحرقوا جميع الأبنية العائدة الى ستيفن المتقدم الذكر، ونهبوا المكان، وشاهد ذلك النبيل الذي كان مع الملك لهب النيران يتصاعد من بيوته لينير المنطقة كلها من حولها، فبادر على الفور مسرعاً مع قوة مسلحة كبيرة لحماية ممتلكاته، ولكنه عندما سمع بأن رتشارد سيوورد كان الفاعل لهذه العملية من العنف، أدار ظهره، ونكص على عقبيه وكأنه هارب من قوة معادية، ولم يوقف حث مطيته، بل فرّ بكل سرعة إلى الملك الذي أثير مع جلسائه للضحك عليه، وفي ذلك الوقت أيضاً، اعتقل رتشارد سيوورد هذا نفسه ومعه أتباعه بعض الفرسان الذين قاتلوهم في الأراضي الويلزية، واتخذهم أسرى، ثم أرغمهم بموجب قانون الحرب على دفع فدية ثقيلة.

وفي هذا العام، في يوم الأحد الذي يغنى فيه بمزمور «دعوا القدس تبتهج»، الذي وقع في الثاني من نيسان، جرى تكريس ادموند رئيس أساقفة كانتربري المنتخب، في كنيسة المسيح في ذلك المكان من قبل روجر أسقف لندن، وبحضور الملك، وثلاثة عشر أسقفاً، وأقام في ذلك اليوم قداساً مهيباً، وهو لابس للطيلسان.

كيف صرف الملك أسقف وينكستر والبواتيين

في هذه الآونة، وفي الأحد الرابع من الصوم الكبير، الذي وقع في

التاسع من نيسان، جرى عقد مؤتمر في ويستمنستر، حضره الملك، والايرلات، والبارونات، ورئيس الأساقفة الذي جرى تكريسه مؤخراً مع أساقفته المساعدين، ولقد اجتمعوا لإيجاد تراتيب موائمة لاحتواء الاضطرابات في المملكة، واقترب وقتها رئيس الأساقفة مع الأساقفة ورجال الدين الآخرين الذين كانوا حضوراً، من الملك، وقدم له نصيحته، وكذلك نصائح الأساقفة فيما يتعلق بالأوضاع السيئة للمملكة واقتراب المخاطر منها، وكرروا إليه وأعادوا على مسامعه ذكر الأضرار التي عرضت عليه في المؤتمر الذي عقد قبل وقت قصير، وبجرأة أخبره أيضاً أنه مالم يقلع حالاً عن أخطائه، ويعمل سلاماً مع رعاياه المخلصين في مملكته، هو، أي رئيس الأساقفة مع جميع الأساقفة الحضور، سوف يتفوه على الفور بقرار الحرمان الكنسي ضده، وضد الظلمة الآخرين كلهم مع مثيري الاضطراب ومفسدي السلام، وأصغى الملك بشكل لائق وأديب إلى نصيحة الأساقفة، وأجاب بتواضع بأنه سوف يستجيب لنصائحهم في كل جانب، ثم إنه قام بعد عدة أيام، عندما تبينت له أغلاطه، فأمر بطرس أسقف وينكستر بأن يذهب إلى أسقفيته، وأن يتولى معالجة الأرواح، وأن لايتدخل من الآن فصاعداً،بأي شكل من الأشكال بشؤون المملكة، كما أنه أمر بطرس ريفول، الذي كانت انكلترا كلها خاضعة لرغباته، أن يتخلى من دون تردد ولامراجعة ويسلمه القلاع الملكية، وأن يقدم له حساباً عن الأموال الملكية، وأن يغادر بلاطه على الفور، معلناً مع القسم، أنه إذا تبرهن أنه انسان غير مفيد، ولم يعترف بحقوق رجال الدين، سوف يأمر بقلع عينيه، كما أنه طرد جميع البواتيين، من بلاطه ومن المسؤولية عن قلاعه، وأرسلهم عائدين إلى بلدهم، آمراً إياهم أن لايروه وجوههم ثانية، ثم إنه لشدة رغبته في عمل سلام وتحقيق ذلك، أرسل ادموند رئيس أساقفة كانتربري مع أسقفي شيستر وروكستر إلى ويلز لترتيب سلام مع للويلين ومع رتشارد المارشال، وبعدما طرد هكذا جميع المستشارين الأشرار لديه،

أعاد استدعاء رعاياه الطبيعيين إلى خدمته، وأخضع نفسه إلى نصائح رئيس الأساقفة والأساقفة، آملاً أن يتمكن بمساعدتهم من أن يعيد مملكته المضطربة إلى وضعها الطبيعي الصحيح.

كيف ذهب الايرل مارشال إلى ايرلاندا وتابع الحرب

وفي هذه الآونة وصل رسل إلى الايرل مارشال، وأخبروه كيف أن النبلاء الايرلنديين قد غزوا أراضيه، واستولوا على بعض قلاعه، وكانوا يتجولون خلال البلاد متورطين في أعمال النهب، وبما أن الملك، تخلى منذ عيد الميلاد عن حملته ضد ويلز، وذهب إلى الأجزاء الشمالية من المملكة، أقلع المارشال مبحراً إلى ايرلندا، في حوالي يوم عيد طهارة القديسة مريم، ومعه خمسة عشر فارساً، من أجل التصدي للنوايا العدوانية لأعدائه وضبطها، ولدى وصوله إلى هناك، وصل إلى عنده غيوفري دي ماريسكو، وكان تابعه المعتمد، لكنه تبرهن أنه غير مخلص، وأنه قد تحالف مع موريس المسؤول عن العدالة، وهيوج دي لاسي، ورتشارد دي بورغ، وآخرين من أعداء المارشال، وتظاهر هذا الرجل بالالتحاق بحزبه، ونصحه بشن الحرب على أعدائه النبلاء الذين تقدم ذكرهم أعلاه، ومن ثم اخضاع ايرلاندا، ثم سار المارشال خلال أراضيه، وجمع جيشاً، وهاجم أعداءه، واسترد بعضاً من القلاع التي كانوا قد استولوا عليها وانتزعوها منه، ثم إنه استولى بعد حصار أربعة أيام على لايمريك Limerick وهي مدينة، مشهورة في ايرلاندا، وأجبر السكان على تقديم الولاء له، ثم تابع زحفه فاستولى على بعض القلاع العائدة للملك، وكذلك على بعضها العائد إلى أعدائه، حيث أرغم قادتها على تأدية يمين بعدم إعاقته في أهدافه، ولم يتجرأ النبلاء الايرلنديون على مواجهته، بل هربوا من أمامه إلى أقصى مسافة من البلاد، حيث جمعوا فرساناً وجنوداً خيالة مع حشد لايحصى تعداده من الرجالة، وأعدوا أنفسهم إلى معركة تصادمية، وقد أثاروا أتباعهم

بتوزيع أموال الملك بينهم، وبوساطة وعود كبيرة، وذلك إذا قتلوا المارشال، لأنهم بذلك سوف يصبحون أغنياء، وأرسلوا بعد هذا بعضاً من رهبان الداوية إلى المارشال، ليخبروه بأنه كان يعمل بمثابة خائن لمولاهم الملك، الذي يشن الآن الحرب ضده، مثلما شنها من قبل وفعل في انكلترا، وأضافوا أيضاً، أنه إليهم قد عهد الملك بالمسؤولية عن المملكة في ايرلاندا، لأنهم رعايا مخلصين بموجب القسم للملك المذكور، ولايمكنهم تحمل هذه الإهانة، من دون جنيهم تهمة الخيانة، وبناء عليه طلبوا منه هدنة حتى يعرفوا فيما إذا كان الملك ينوي الدفاع عن ايرلاندا، وأنه إذا مارفض أن يفعل ذلك، وقرر أن يترك البلاد لأجلها، سوف يتخلون على الفور عن البلاد كلها إلى المارشال، من دون قتال وسفك للدماء.

عدالة الحرب التي أنشبها المارشال ضدّ الملك

ولدى تسلم المارشال هذه الرسالة، ردّ على اقتراحاتهم واحداً تلو الآخر كما يلي، حيث قال:

«أقول في المقام الأول وأرد بأنني لم أتصرف بمثابة خائن ضد الملك، لأنه جردني من وظيفتي كمارشال بشكل غير عادل، ومن دون أية محاكمة من قبل نظرائي، وأمر بالاعلان عني منفياً في جميع أنحاء انكلترا، وأحرق بيوتي، ودمر ممتلكاتي، ولقد عدّني مرتين متحد خارج على السلطة، مع أنني كنت دوماً على استعداد للظهور في بلاطه، والاجابة على الاتهامات التي أثيرت ضدي، ومن ثم الالتزام بقرار نظرائي، ولهذا السبب أنا لم أعد تابعاً له، بل متحلل من كل أنواع التابعية والولاء له، وهذا لم يحدث بوسائلي بل بوسائله»، وبالنسبة للعروض التي قدمت إليه، ومسألة الهدنة، فقد بعث المارشال رسالة إلى النبلاء بوساطة الرهبان الداوية المذكورين، بأن يقدموا للاجتماع به في مؤتمر في اليوم التالي في ميدان بينه لهم وحدده، فهناك يمكن القيام

بالترتيبات من أجل السلام، وقد أعلن —على كل حال— بدون تردد، أنه يمتلك عدالة كاملة، وتسويغاً في السعي لاسترداد ماهو عائد إليه، والعمل على اضعاف الملك ومستشاريه بكل وسيلة ممكنة له.

مشورة غيوفري مارش الخيانية

وعندما سمع النبلاء الايرلنديون جواب المارشال من الداوية، كانوا مسرورين جداً وراضين بالاقتراح للقدوم إلى المؤتمر، لأنهم عرفوا أنهم يمتلكون قوة أكبر من قوة المارشال، وكانوا قد عزموا على أن لايعودوا من دون الاشتباك في معركة، وطلب المارشال في الوقت نفسه نصيحة فرسانه حول القضية التي تقدم ذكرها، وقال:

«يبدو لي أنه يتوجب علينا أن نمنح هؤلاء النبلاء الهدنة التي طلبوها، لأن طلبهم كما يبدو لي عادل ومنطقي، وأنا أخاف أننا إذا مارفضنا منحهم ماهو عدل، فإن شيئاً سيئاً قد يقع لي، وهنا انفجر موجهاً الكلام إليه، ومجدفاً ضده غيوفري ماريسكو، وهو حليفة المتظاهر، والذي كان على دراية بالخيانة المتفاوض عليها، ذلك أنه مشاركاً فيها، ثم أخذ يتكلم وكأنه كلام المشفق، قائلاً إنه ليس ابن لذلك العظيم الذي كان وليم مارشال، الذي تفوق على جميع فرسان الامبراطورية الغربية، حكمة وعقلانية، وكذلك في الشجاعة والإقدام، وقال:

«لقد غدوت رجلاً ضعيفاً، فأنت الآن بفسولتك ترفض فرصة الحصول على سيادة ايرلاندا التي بمقدورك الآن اخضاعها، والهدنة في الحقيقة، التي يطلبها أعداؤك، هي مخادعة لك، من أجل أن يتمكنوا من إعاقة تقدمك، لكن ينبغي عليك أن تكون متأكداً، بأن جميع أعداءك عندما سيرونك مسلحاً ومستعداً للقتال، حتى ولو مع قليل من الأتباع سوف يديرون ظهورهم، ويشرعون بالفرار»، وقد كان هناك حوالي ثمانين فارساً، أو أكثر، الذين لديهم أراضي من المارشال، والذين كانوا

قد نالوا الرشوة من أعدائه، وقد أشاروا عليه بالخطة نفسها التي تقدم طرحها، فقد كانوا يسعون خيانياً لخداعه.

المؤتمر الذي عقد بين النبلاء الايرلنديين والايرل مارشال

وعند حلول الصباح، وصل لحضور المؤتمر:

موريس المسؤول عن العدالة، وهيوج دي لاسي، ورتشارد دي بورغ، في الحقل المحدد لهم، وكانوا محاطين بمائة وأربعين فارساً جريئاً وشديداً، كانوا قد انتخبوهم من جميع أرجاء ايرلاندا، منذ اللحظة التي بدأوا فيها بنواياهم الخيانية، بقصد قتل المارشال، وقد جلبوا لتنفيذ هذه الغايات بوساطة أعطيات كبيرة ووعود مغرية، ولذلك كانوا جميعاً يرغبون بالقتال، ويفضلون ذلك على المؤتمر، ووصل المارشال أيضاً مع فرسان مسلحين، كانوا —باستثناء الخمسة عشر، من خاصته— قد تشكلوا من حاشية خاصة كانت معه، وقد تظاهروا بأنهم أعوانه ومؤيديه، وقد أخذ موقعه على مسافة قرابة الميل عن أعدائه، ثم بدأت المفاوضات حول السلام، بوساطة الداوية الذين حملوا الرسائل من كل من الفئتين، وباختصار، عندما عرف النبلاء الايرلنديون أن المارشال قد قدم مع عدد قليل من الأتباع، أخبروه بوضوح، بأن قرارهم الثابت، هو أنه مالم يمنحهم الهدنة التي طلبوها، فإنهم يتحدونه، وسوف يجربون على الفور بوساطة قوة السلاح، أي الفريقين كان الأقوى، وجرى حث الايرل مارشال على القبول بذلك، بوساطة نصيحة غيوفري دي ماريسكو وجماعته الآخرين المتظاهرين بالصداقة، فرفض وهو مكره طلب الهدنة، وطالب مراراً بوساطة الرسل بأن عليهم أن يعيدوا إليه بعض قلاعه، التي استولوا عليها بشكل غير عادل، ومازالوا محتفظين بها، ذلك أن الأمر بدا بالنسبة له أن منح الهدنة مضاد للحق، في وقت هو مسلوب من أملاكه، ورفض النبلاء الايرلنديون أن يفعلوا ذلك، وصفوا قواتهم وعبأوها استعداداً للقتال، وزحفوا لمحاربة المارشال

وكأنهم واثقين من نيل النصر، وعندما شاهد غيوفري دي ماريسكو ذلك قال للمارشال:

«إنني أشير عليك باخلاص صحيح، أن تمنحهم الهدنة، لأن زوجتي هي أخت النبيل هيوج دي لاسي، ولذلك لايمكنني القتال إلى جانبك، ضد الذي أنا متحالف معه بالزواج»، وعلى هذا ردّ المارشال قائلاً:

«إنك خائن شرير، أولم أرفض الهدنة الآن بناء على نصيحتك، مع أن ذلك جاء ضد رغبتي؟، وأنا لاأريد أن أبدو في الحقيقة رجلاً ذا عقل متقلب، إذا ماأقدمت هكذا بسرعة على منحهم الذي كنت قد رفضته قبل وقت قليل مضى، وإنني وقتها سوف أبدو، قد أقدمت على فعل ذلك من خلال الخوف، أكثر من خلال تقديري لهم، هذا وانني مدرك تماماً أنه مقدّر لي أن أموت في هذا اليوم، وانه أفضل بالنسبة لي أن أموت بشرف في سبيل قضية العدل، وأن لاأهرب من الميدان، واتحمل مسبة أتباعي من الفرسان إلى الأبد»، ثم نظر فرأى أخاه وولتر وكان شاباً جميلاً، فقال لأتباعه:

«خذو أخي إلى قلعتي القريبة، ولاتدعو أسرتي كلها تهلك في هذه المعركة، ذلك انني أثق بشجاعته، وأنه عندما يصل إلى سن البلوغ، سوف يظهر نفسه فارساً شجاعاً»، وخشية من النبلاء الايرلنديين من شدة المارشال وبسالته، أعطوا دروعهم إلى الفرسان الذين كانوا قد حشدوهم لغاية قتل هذا الرجل البريء، ذلك أنهم، وإن رغبوا بقتله، لم يرغبوا في أن يظهروا بمثابة مشاركين بهذه الفعلة.

المعركة التي وقع فيها المارشال بالأسر

وعندما صفت العساكر، رأى الايرل مارشال هناك أعداد كبيرة، سوف تشتبك فقط مع عدد قليل، وقام هو —على كل حال— بتشجيع رجاله على القتال، مؤكداً أنه قام بحروبه من أجل العدل والقوانين في

انكلترا، وبسبب ظلم البواتيين، معتقداً بأنهم جميعاً كانوا مخلصين له، في حين كانوا في الحقيقة خونة، ثم اندفع بجرأة إلى وسط الأعداء، وشق طريقه بينهم بالقوة، وبذلك فتح طريقاً لفرسانه بسيفه، لكن لحق به فقط خمسة عشر فارساً، الذين كانوا أتباعه الشخصيين، وسعوا لتفريق أعدائهم، أما أتباعه الفرسان الذين ارتبطوا به بالقسم، والذين وثق بهم، فقد قاموا بتسليم أنفسهم، وأخذوا أسرى من دون مقاومة، وذلك كما تقدم الاتفاق بين هؤلاء الخونة، فلقد سلموا أنفسهم دون أن يجرحوا لابرمح ولابسيف، وكأنهم كانوا أصدقاء، مسرورين برؤية أحدهم الآخر، وقد هرب بعضهم دون أن يضربوا ضربة واحدة، وجاء فرارهم إلى الكنائس والديرة، تاركين المارشال مع خمسة عشر فارساً فقط، وقد دافع هؤلاء عن أنفسهم بشجاعة، وكانوا غير معادلين لخصومهم أثناء الصراع، لأنهم كانوا يقاتلون ضد مائة وأربعين، ووقع ثقل المعركة —على كل حال— على المارشال، الذي عندما اكتشف الخطط الخيانية ضد حياته، أخذ يقاتل أعداءه من جميع الجوانب، وثابر على الدفاع عن نفسه، فقتل ستة منهم، وكان هناك فارس صاحب حجم عملاق، إليه أعطى رتشارد دي بورغ دروعه، ولقد غضب كثيراً عندما رأى مافعله المارشال، فحمل منقضاً على المارشال ليقتله على الفور، وسعى إلى انتزاع خوذته من على رأسه بالقوة، وعندما رأى المارشال هذا الرجل، اعتقد أنه كان رتشاد دي بورغ، فناداه متعجباً قائلاً:

«اهرب أيها الخائن الشرير حتى لاأقتلك»، وعلى هذا ردّ عليه قائلاً: «إنني لن أفر، بل سوف أقترب منك»، ثم إنه رفع يده ليمسك خوذة المارشال، لكن المارشال تمكن بضربة واحدة من سيفه من قطع يديه معاً، مع أنه كان مغطى بالدروع، وعندما رأى أحدهم رفيقه قد أصيب بالجراحة، اندفع بكل السرعة التي امتلكها حصانه نحو المارشال، وبذل كل طاقته لضربه على رأسه، لكن بفضل الخوذة، جاءت الضربة من

دون تأثير، ورد المارشال الضربة، فقطع عـدوه إلى نصفين حتى الوسط، وبعـد ذلك لم يعـد أحـد منهم يتجـرأ على الاقتراب منه لبعض الوقت، وكان قادة الأعداء في حالة احباط، لكنهـم مالبثوا أن حثوا رجال حشد الناس الـذين قـــدمـــوا إلى هناك، وهم يحملـون الرمـــاح، والمذاري، والفؤوس، والمطارد، أن يطوقوا المارشال، وأن يقتلوا فرسه، وينزلوه إلى الأرض، وقـد طوقوه على الفـور، وقهـروه، وأصابوا حصـانه بكثير من الجراحـــات، ومع ذلك لم يتمكنوا من ترجيله، ولـذلك قطعـوا قـــدمي الحصـان بفـؤوسهم، وعندها سقـط المارشـال مع حصـانه، وقـد غلبـه التعب، ذلك أنه كان قـد بدأ القتال من الساعـة الأولى واستمر من دون توقف حتى السـاعـة الحادية عشرة، وهنا انقض عليـه أعداؤه، ونزعـوا عنه دروعـه، وأصابـوه بجراحـة قـاتلة في الظهر، وعنـدما علم النبـلاء أنفسهم أنه أصيب بجـراحة مميتة، وأنـه كان متمدداً وكأنـه بدون حياة، نقلوه —دون أن تظهر عليـه علامات الحياة— إلى قلعتـه، التي استحوذ عليها موريس المسؤول عن العدالة قبل وقت قصير، وفي القلعة وضعوه في سجن محكم وشـديد الاغـلاق، ومعه فقط شـاب واحـد من أتباعـه يتـولى العناية بـه، وهناك بقي بين أيدي أعـدائـه، ووقـع القتـال في هذه المعركة يوم السبت في الأول من نيسان.

موت الايرل مارشال ودفنه

وبعـد مضي عـدة أيام بدأ المارشـال يسترد قـواه، حتى صـار بإمكانه الأكل والشرب، ولعب النرد، وأن يمشي ذهاباً وإياباً في غرفته، وعندما شـاهد أعـــداؤه هذا، سألوه باسم ملك انكلترا بأن يتخلى عـن قـلاعـه وأراضيـــه في ايرلاندا، ذلـك أن جســده كـان الآن تحت سلطة الملك، وتحت رحمتـه ومن الممكن تعريضـه لأبشع الميتـات، حسبما يرضي الملك ويسره، لأن قرار البـلاط الملكي، قد قضى أولاً بنفيه، ثم جـرى وضعه في حالة التحدي، وهو الآن قد أخذ أسيراً في معركة قتالية جرت ضده،

وقالوا له:

«إنه سوف يكون لصالحك أن تفعل هذا من دون معارضة، وبذلك تحصل على رحمة منا»، ثم إنهم أروه ترخيص الملك، الذي أمروا به، أنه إذا حدث وجاء إلى ايرلاندا، أن يعتقلوه ومن ثم أن يرسلوه ليمثل أمام الملك حياً أو ميتاً، ولمعرفة المارشال أنه تحت سلطة أعدائه وفي أيديهم، أعطى أوامر، بوساطة رسالة، من أجل تسليم جميع قلاعه إلى الملك، وكان على غير دراية بأن تراخيص الملك قد منحت إلى هؤلاء النبلاء حق توزيع ممتلكاته بين أنفسهم، وأن يتملكوها بموجب الحق الوراثي.

وأخذت جراحته الآن بالتورم، وتسبب له آلاماً مبرحة، فطلب باحضار طبيب، وبناء عليه قام موريس المسؤول عن العدالة، والذي كان تحت مسؤوليته، باستدعاء واحد، إنما مع نية قتله وليس معالجته، وقام المارشال —على كل حال— قبل تناوله أي دواء جسدي، بالاستعداد للموت بالاعتراف، وبتناول القربان، وعمل شهادة قانونية، ثم عهد إلى الرب بمسألة بقائه حياً، أو موته.

ثم جاء الطبيب إليه، وقام بفتح جراحاته بأداة طويلة محماة، وجرفهم عدة مرات، وبعمق بوساطة تلك الآلة، وأخرج الدم منهم، ولشدة آلام المارشال أصيب بحمى حادة، وفي السادس عشر من نيسان، الذي كان اليوم السادس عشر بعد اصابته في المعركة، نام في الرب، وقد دفن في اليوم التالي في كيلكني Kilkenny في قلاية تابعه لبعض الرهبان الفرنسيسكان، حيث كان عندما كان حياً شيد قبراً رشيقاً، وهكذا مات الايرل مارشال، وكان فارساً نبيلاً، وبارعاً في المعارف، ومتميزاً بأخلاقه وبفضائله، وقد فارق هذه الحياة في أحد السعف، ليتسلم من الرب في السماء سعفة تكون جائزة له، فقد كان بين أبناء البشر شخصاً جميلاً جداً، إلى حد بدا فيه أن الطبيعة تصارعت مع الفضائل في تكوينه.

الانتقام الذي أخذه النبلاء المنفيين من مستشاري الملك

ولم يكن قد عرف بعد في انكلترا الذي وقع للمارشال في ايرلاندا، لكن عندما بات ذلك معروفاً، طلب رتشارد سيوورد وبعض الآخرين من النبلاء المنفيين، الانتقام من مستشاري الملك، الذين بوسائلهم قد طردوا، وقاموا في اليوم الرابع من اسبوع الفصح، فأحرقوا بعض الأبنية في سوينبورن Swainbourn كانت ملكاً لروبرت باسلوي، وطال ذلك حاصلات الحصيد، والمواشي، والمقتنيات الأخرى التى وجدوها هناك، وسببوا أذى عظيماً له، وأحرقوا بعد ذلك في السادس والعشرين من شهر نيسان بعض الهري قرب بلدة ستين Stains كانت ملكاً لروبرت المذكور، مع حاصلات الحصيد والمقتنيات التي وجدوها هناك، ومجدداً استولوا في الثاني من أيار، على ستة خيول محملة بالأثقال، كانت ملكاً لستيفن دي سيغريف، وذلك إلى جانب خيول ركب ثمينة، أما كل ماكان ملكاً للملك فقد تركوه يمر بسلام، وفي الثاني عشر من أيار أحرقوا آيفنغهو Ivinghoe وهي قرية كانت ملكاً لبطرس أسقف وينكستر، مع جميع البيوت والممتلكات الأخرى، مما سبب خسارة كبرى للأسقف، واستولى في العام نفسه النبلاء الايرلنديون على قلاع المارشال وعلى امتيازاته في ايرلندا، التي منحت إليهم بموجب ترخيص الملك، واقتسموها فيما بينهم.

كيف وصل جميع النبلاء المطرودين وعملوا سلاماً مع الملك

وفي هذه الآونة، بعد عيد الفصح مباشرة، ذهب الملك إلى غلوستر، بقصد مقابلة رئيس الأساقفة والأساقفة الذين كان قد أرسلهم إلى ويلز، كما روينا من قبل أعلاه، وعند وصوله إلى عزبته في وودستوك Woodstock أمضى الليلة هناك، وفي هذا المكان وصل إليه رسل من ايرلندا، جالبين له أخبار موت المارشال، ولدى سماعه ذلك انفجر بالنواح، مما سبب الدهشة إلى جميع الحضور، فقد بكى موت مثل ذلك

الفارس المتميز، وأعلن أنه عندما مات لم يخلف من يوازيه في المملكة، ثم إنه استدعى على الفور قساوسة بيعته، وأمرهم بغناء صلاة جنازة مهيبة من أجل روحه، وقام في اليوم التالي بعد حضوره القداس، فوزع كميات كبيرة من الصدقات على الفقراء، ولابد أن المباركة جديرة بمثل هذا الملك، الذي أمكنه أن يحب أعداءه، وأن يصلي بدموع إلى الرب من أجل مضطهديه، ثم إنه انطلق من وودستوك فوصل إلى غلوستر، حيث قابل ادموند رئيس أساقفة كانتربري، والأساقفة الذين رافقوه في مهمته إلى للويلين،وأخبر هؤلاء الرسل الملك بأنهم رتبوا من أجل سلام مع للويلين، على شرط، أنه قبل القيام بأي شيء، يتوجب على الملك أن يقوم على الفور، بتلقي النبلاء المنفيين، الذين كان للويلين متحالفاً معهم، والذين طردوا نتيجة للنصائح الشريرة لمستشاريه، وأن ينالوا حظوته، وعند تنفيذ هذا يكون السلم قد جرت الموافقة عليه تماماً، وعند ذلك، أصدر الملك الذي تشوق إلى السلام بأية وسيلة، رسائل دعا فيها النبلاء المطرودين للالتقاء به في مؤتمر في غلوستر، في يوم الأحد بعد وقوع عيد الصعود الذي سوف يكون في التاسع والعشرين من أيار، فهناك وقتها سوف يتلقون عفواً شاملاً وسوف يستردون مواريثهم، وأن بإمكانهم الوصول إلى هناك من دون أي توجس وريبة، تحت أمان رئيس الأساقفة والأساقفة، وبناء عليه وصلوا بناء على وساطات رئيس الأساقفة والأساقفة إلى اتفاق مصالحة مع الملك، وبناء عليه جرى قبول:

هيوبرت دي بورغ،، مسؤول العدالة السالف، وغيلبرت باسيت مع أخيه، ورتشارد سيوورد، وجميع الذين نفيوا معهم ومن أجلهم، بالحضرة الملكية، ونالوا منه قبلة السلام في الثامن والعشرين من أيار، وأعيدت إليهم جميع امتيازاتهم من قبله، وفي ذلك المؤتمر، وصل إلى عند الملك غيلبرت أخو الايرل مارشال، وأخبره بوفاة أخيه، وطلب منه أن

يوضع في ميراثه، وعرض تقديم الولاء إلى الملك، وأن يفعل كل ماعليه فعله نحو مولاه، ثم أعاد الملك إليه —بناء على نصيحة رئيس الأساقفة— جميع ممتلكاته الموروثة في انكلترا وكذلك في ايرلاندا، وتلقى الولاء منه، وفي يوم أحد الشعانين التالي منح مرتبة الفروسية مع نطاق إلى غيلبرت المذكور، وسلم إليه عصا المارشالية لبلاطه، ليحملها مع جميع المراتب والتشريفات التي منحت إلى أجداده، كما أنه قبل أيضاً هيوبرت دي بورغ، وغيلبرت دي باسيت، ورتشارد سيوورد بين خاصته وأصدقائه المقربين، ومستشاريه، ثم اكتشف تماماً كيف أن ضلل ببراعة مستشاريه الماضين، الذين لأنهم كانوا فاسدي الضمير، قد انسحبوا من حضرة الملك.

الملك يطلب حساباً من بطرس ريفول، إلخ

وفي المؤتمر نفسه، قرأ ادموند رئيس أساقفة كانتربري، بحضور الملك ومجمع الأساقفة كلهم، والايرلات، والبارونات، الذين كانوا حاضرين، نسخة من الرسائل الحاوية للأوامر الخيانية، فيما يتعلق برتشارد، الايرل مارشال، والتي أرسلت إلى نبلاء ايرلندا، من قبل مستشاري الملك، ولدى سماع الملك نفسه لها، وكذلك بقية الحضور، حزنوا بعمق، وانفعلوا حتى تساقطت دموعهم، واعترف الملك بحقيقة، بأنه بناء على اكراه من أسقف وينكستر، وبطرس دي ريفول، ومستشاريه الآخرين، قد أمر بوضع ختمه على بعض الرسائل التي وضعت أمامه، وأعلن مقسماً بأنه لم يعرف قط مقاصدهم، وفي جواب من رئيس الأساقفة له قال:

«تفحص ضميرك ياماليكي، لأن جميع الذين تسببوا بارسال هذه الرسائل كانوا على دراية بالخيانة المنوية، وهم بذلك مجرمون مدانون بقتل المارشال، وكأنهم قتلوه بأيديهم»، ثم قام الملك بعدما تلقى نصيحة، فأصدر رسائل استدعى فيها أسقف وينكستر، وبطرس

ريفول، وستيفن دي سيغريف، وروبرت باسلوي، للالتقاء به بمؤتمر في أيام عيد القديس يوحنا، ليقدموا له حساباً ليس فقط عن أمواله التي تسلموها وصرفت من قبلهم، بل عن سوء استخدام ختمه من دون معرفته، وأمرهم بالظهور في ذلك اليوم للاجابة على التهمة، ولقد وجدوا على كل حال، لدى عودتهم الى ضمائرهم أنهم مجرمون تجاه جميع التهم، وكانوا مرعوبين من غضب الملك من جهة أولى، ومن الجهة الثانية من غضب إخوان المارشال وأصدقائه، الذين تسببوا بموته، ولذلك هرب أسقف وينكستر، وبطرس دي ريفول إلى حرم الكنيسة، وأخفيا نفسيهما في الكنيسة الكاتدرائية في وينكستر، ونأيا بنفسيهما تماماً من أمام الناس، وأخفى ستيفن سيغريف نفسه في كنيسة القديسة مريم في ليستر، وهكذا فإن الذي هرب من قبل من كهنوتيته، وحمل السلاح، عاد الآن إلى واجباته الكهنوتية، واستأنف حمل سبحة صلواته، التي كان قد هجرها، من دون موافقة أسقفه، وطلب روبرت باسلوي الاختفاء في مكان ما من أحد يعرفه، ويؤكد بعضهم أنه ذهب إلى روما، ولم يتجرأوا بناء على دعوة الملك، أن يعبروا عتبة الكنيسة، لأنهم توجسوا من أن أعداءهم الذين أحرقوا قراهم وأبنيتهم ومخازنهم مع محاصيلهم ومع كل شيء آخر ثمين بالنسبة لهم، لن يوفروا حياتهم إذا ماامتلكوا الفرصة لانزال الأذى بهم.

كيف طالب الملك بحساب من بطرس ريفول

وأخيراً استطاع ادموند رئيس أساقفة كانتربري، الذي توسط بين الفئتين المتصارعتين، الحصول على إذن من الملك لهؤلاء الأشخاص بالظهور أمامه، تحت أمان منه شخصياً ومن الأساقفة، وجرى تحديد يوم لذلك، للاجابة على مطالبه، من أجل إنهاء هذا الشقاق في المملكة، والاستراحة منه، وبناء عليه حدد الملك يوم الرابع عشر من تموز من أجلهم، للظهور في ويستمنستر، وفي ذلك اليوم أحضروا أمام

الملك تحت كفالة رئيس الأساقفة المذكور والأساقفة، وكان أول من ظهر أمام الملك للاجابة على الاتهام بطرس دي ريفول، الذي قدم في ثياب كهنوتية، ورأسه محلوق وهو يرتدي اكليلاً عريضاً، وقدم التحية باحترام إلى الملك الذي كان جالساً على مقعد مع المسؤولين عن العدالة، ونظر الملك إليه نظرة ازدراء بسبب الملابس التي ارتداها، وقال:

«أيها الخائن، لقد وضعت دون أن أعرف، بموجب نصيحتك الشريرة، ختمي على رسائل تحتوي على خطط خيانية ضد المارشال، وإنه أيضاً بوساطة مشورتك الشريرة، قمت بنفيه وآخرين من رعاياي الطبيعيين من مملكتي، وبذلك أبعدت عواطفهم عني وتقديرهم لي، وبنصيحتك السيئة عملت حرباً ضدهم، وبددت أموالي وأموال رعيتي»، ثم طلب منه تقديم حساب حول خزينته، وعن التصرف بادارة الشباب الذين كانوا من أسر نبيلة وعهد إليه بالوصاية عليهم، وكذلك حول المواريث العائدة للدولة والموارد الأخرى التي كانت عائدة إلى التاج، وعندما اتهمه الملك بهذه التهم وبتهم جرائم أخرى كثيرة، واتهمه بالخيانة، هو لم ينكر أياً من هذه التهم ضده، بل سجد على الأرض أمام الملك، واستجدى رحمته، وقال: «مولاي الملك، لقد نشأت وأثريت بالمقتنيات الدنيوية بك، لذلك لاتدمر الرجل الذي عملت، بل أعطني الوقت للتفكر، حتى أتمكن من أن أعطيك حساباً صحيحاً فيما يتعلق بجميع الأشياء التي طلبتها مني»، وعلى هذا أجابه الملك: «إنني سوف أبعث بك إلى برج لندن، وهناك يمكن أن تفكر حول القضية، من أجل أن تقدم لي حساباً صحيحاً موائماً»، وعلى هذا ردّ بطرس قائلاً:

«مولاي إنني كاهن، ولاينبغي أن أسجن، أو أن احتجز في سجن للعلمانيين»، وعند ذلك قال الملك له:

«رئيس الأساقفة موجود هنا، وإذا رضي أن يأخذك تحت ضمانته، سأعهد بك إليه لتكون تحت عهدته، من أجل أن تعطيني جواباً صحيحاً لمطالبي»، وباختصار بعث به الملك إلى البرج، واستولى على ممتلكاته الدنيوية، لأنه كان مرتدياً تحت لباسه الكهنوتي سابغة مع دروع لم تكن موائمة لرجل دين ولانافعة له، وقد بقي في برج لندن يومي الخميس والجمعة بعد اعتقاله، ثم أطلق سراحه من قبل رئيس الأساقفة، الذي بعث به إلى الكنيسة الكاتدرائية في وينكستر، حيث بقي هناك.

كيف ظهر ستيفن سيغريف أمام الملك

ومثل في اليوم نفسه ستيفن دي سيغريف أمام الملك تحت حماية رئيس الأساقفة، للاجابة على التهم التي عملت ضده، ولدى ظهوره أمامه اتهمه الملك بأنه خائن شرير، ووجّه إليه الاتهامات نفسها، كالتي سلف ووجّهها إلى بطرس ريفول، وأضاف إلى ذلك أنه أشار عليه بصرف هيوبرت دي بورغ من وظيفة المسؤول عن العدالة، وبسجنه، وبشنقه، وبنفي النبلاء الآخرين من المملكة، وبعد اتهامه بهذه الجرائم وبجرائم أخرى كثيرة، طالبه الملك بحساب عن الذي تسلمه وعن الذي أنفقه في وظيفته المسؤول عند العدالة، وهي الوظيفة التي مارسها بعد صرف هيوبرت دي بورغ، وفيما يتعلق بهذه التهم، حصل رئيس الأساقفة وبعض الأساقفة على فرصة انتظار حتى عيد القديس ميكائيل من أجل اعطائه فرصة للتفكير، وبالنسبة لتهمة اعطاء نصائح شريرة إلى الملك، ردّ على ذلك، بأنه كان لدى الملك العديد من المستشارين، ولذلك فإن الشر الذي وقع لايجوز أن توضع المسؤولية عنه عليه وحده، وأما روبرت باسلوي، الذي شغل منصب الخازن بعد وولتر أسقف كارآيل، فقد أخفى نفسه، ولم يكن من الممكن العثور عليه من قبل الذين طلبوا حياته.

كيف تخلى كونت بريتاني عن ولائه

وفي ذلك العام نفسه، في يوم عيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان، وهو الوقت الذي انتهت فيه الهدنة، المعمولة بين الملكين الفرنسي والانكليزي في بريتاني، أرسل الملك الانكليزي ستين فارساً وألفى ويلزي إلى كونت بريتاني من أجل حماية الأجزاء الضعيفة من أراضي ذلك النبيل، وعند انتهاء الهدنة، جمع الملك الفرنسي جيشاً كبيراً من جميع قوى مملكته، وألقى الحصار على قلعة كانت ملكاً لكونت بريتاني، وتصدى فرسان الملك الانكليزي مع أتباعهم الويلزيين للفرنسيين، وقتلوا عدداً من خيولهم، وبذلك غيّروا الجنود الخيالة إلى جنود رجالة، واستولوا على عرباتهم وعلى عجلاتهم الحاوية لمؤنهم وأسلحتهم، وحملوا معهم خيولهم وغنائمهم الأخرى، وبعدما أنزلوا جميع هذه الأضرار بأعدائهم، عادوا إلى أماكن استقرارهم دون أية خسارة لحقت بهم أنفسهم، وغضب الملك الفرنسي من هذه الأضرار التي لحقت به، فقسم جيشه، وهاجم بريتاني من جميع الاتجاهات، ووجد الكونت نفسه في هذه الضائقة فطلب منحه هدنة وحصل عليها حتى عيد جميع القديسين، من أجل أن يرى فيما إذا كان الملك الانكليزي الذي هو حليفه، سيأتي شخصياً لعونه، ولكي يحصل على هذه الهدنة سلم إلى الملك الفرنسي ثلاثة من خيرة قلاعه، مع تفاهم أنه إذا لم يقدم الملك الانكليزي شخصياً لانقاذ أراضيه خلال الوقت المحدد، هو سوف يتخلى عن جميع بريتاني مع القلاع والمدن التي فيها، إلى الملك الفرنسي كلياً.

وبعدما عمل هذه الهدنة أعاد دوق بريتاني إلى الملك الانكليزي فرسانه مع أتباعهم الويلزيين، وقد نصح هؤلاء الملك، بأن لايبدد المزيد من أموال المملكة من أجل حماية كونت بريتاني، لأنه قد دخل الآن بمعاهدة مع الملك الفرنسي، بقصد التخلي عنه، وإقامة سلام مع الملك

الفـرنسي، وهو ينتظر فقط تبديد جميع الأمـوال الانكليزية، وبعـد مضي وقت قصير، قـدم الكونت المذكـور نفسـه إلى انكلترا، وأخبر الملك بأنه أنفق جميع الأمــوال التي امتلكهـا للحصـول على هـذه الهدنة من الملك الفـرنسي، وطلب إعـادة تزويده بخمســة عشر ألف مـارك، وهو مبلغ —كما قال— أنفقه في الدفاع عن أراضيه، من أجل شرف وكرامة ملك انكلترا، وفي إجابة على هذا الطلب قـال الملك بأنه هو الذي حصل على الهدنة وهو الذي أبرمها، وأضاف بأن خزينة انكلترا لم تكن كافية للدفاع عن بريتـاني، وذلك كما تبرهن بتجربة السنوات الثـلاث، وهو لايرغب بأن تتضـاعف نفقـاته أكثر بمثـل هذه المشاكل والنفقـات، وإذا مـارأى كـونت بريتاني أنه —على كل حـال— يكفي، فهـو سوف يرسل أربعـة ايرلات من انكلترا مع فــرسـان وجنود فيهم كفـاية للـدفـاع عن تلك المنطقـة ضد الملك الفـرنسي، ولدى سماع الكونت هذا، ترك الملك وهو مغضب، وعبر إلى بلاده، وهـرب إلى الملك الفـرنسي، ولكـي يخفف من وقع خيـانتـه ضد ذلـك الملك، ذهب إليـه وطوق حول رقبتـه، معترفـاً بخيانته مسلماً إليه جميع بريتاني، مع البلدات والقلاع التي فيها، وقد قيل بأن الملك الفرنسي قد أجابه كما يلي:

«مع أنك خـائن شرير، وتستحق موتاً مشيناً، إنني سـوف أحفظ لك حياتك احترامـاً لمرتبتك، وسوف أعطي ابنك بريتـاني لمدى حياته، وبناء عليـه إنه بعد مـوته سوف يرث ملوك فـرنسا تلك المقـاطعة»، وعندمـا وجـد الكونت نفسـه قـد حرم مـن جميع ممتلكاته، وكأنه خـائن، تلطف ثانية وعرض بوساطة الرسل على الملك الانكليزي الولاء الذي عمله له من قبل، غير أن الملك استــولى على جميع ممتلكات كــونت بريتــاني في انكلترا، وحرمه من جميع مراتبه الشرفية.

واقعة اعجازية تتعلق بأحد الأساقفة

في هذه السنة التي كانت السنة الثالثـة بلا ثمار، انتشر الموت والمجاعة

في كل مكان، ومما لاشك فيه أن هذه الطواعين قد جلبت بوساطة ذنوب السكان، وكذلك بوساطة الأوضاع المناخية المتقدمة التي جاءت في غير مواعيدها، فتغيرت الأجواء، وأصيبت الأرض بعقم عام، وأصيب المريض ومات من الجوع، ولم يواجه سامري طيب ليعطيه ضيافة ويطعمه، أو ليداوي جروحه المميتة، وكانت الصدقات التي كانت تقدم بالعادة من قبل الأغنياء، قد تلاشت الآن، أما الأغنياء الذين كانت لديهم وفرة من الممتلكات، فقد أصيبوا بالعمى إلى حد أن المسيحيين كانوا يعانون مع أنهم خلقوا على شكل الرب، وكانوا يموتون لعوزهم للطعام، ولقد كانوا بالفعل عميان، حيث أنهم تفاخروا بتكديس الثروات، ليس عطاء من الرب، بل بفضل جهودهم وأعمالهم، وحالة مخجلة كهذه كانت منتشرة بشكل عام بين المسيحيين، وكانت مهينة أكثر بين الأساقفة، وبين قساوسة الكنيسة، وبين الرجال الرئيسيين الذين كانوا مشهورين بشرههم، أذكر وولتر رئيس أساقفة يورك، كنموذج للبقية، لأنه عندما ذهب إليه رؤساء ووكلاء عدد من عزبه، وأخبروه بأنه كانت لديه كميات كبيرة من الحبوب، صارت عتيقة بعد مضي خمس سنوات عليها، وهم يتوجسون كثيراً أن هذه الحبوب إما قد أكلت من قبل الجراذين، أو أنها اهترأت بسبب العفونة، هو حتى في زمن مثل ذلك العوز، لم يظهر احتراماً للرب، أو تقديراً للفقير، وأعطى أوامر إلى وكلائه وإلى رؤساء العزب بإعطاء القمح القديم إلى العمال في عزبه، وقال بأنه يتوجب عليهم أن يعيدوا إليه مقابل القديم جديد بعد الخريف المقبل، وحدث أن واحداً من وكلاء رئيس الأساقفة المذكور كان يفحص القمح في بلدة ريبون Ripon وقد أخرج القمح إلى خارج المخازن لدرسه، ووقتها ظهرت بين السنابل رؤوس هوام مثل الأفاعي والعلاجيم وزواحف أخرى، وهرب الخدم الذين جاءوا مع الوكيل للنظر إلى القمح وهم في حالة من الرعب، خشية التعرض للأذى من الهوام، وعندما أخبر رئيس الأساقفة بهذا كله، شعر بالخزي،

فبعث قهرمانه ليرى ماالذي ينبغي فعله، وعندما قدم إلى المكان، ولدى وصوله إلى الموضع لم يهتم بحشود الزواحف، فوضع سلالم على الأكداس، وأرغم بعض العمال على الصعود وفحص القمح، ولدى وصولهم إلى القمة، صدر دخان أسود من الأكداس، ترافق بنتانة غير أرضية ولايمكن تحملها، لذلك نزلوا إلى الأسفل وابتعدوا عن الأكداس للنجاة من الاختناق، معلنين أنهم لم يشموا من قبل مثل هذه النتانة، كما أنهم سمعوا صوتاً بأن لايضعوا أيديهم على القمح، لأن رئيس الأساقفة وكل شيء عائد إليه كانوا ملكاً للشيطان، وعندما شاهد القهرمان والذين جاءوا معه الخطر الذي نجم عن أعداد الزواحف، بنى جداراً عالياً حول قمح الشيطان، وألقى النار في هذه الحبوب حتى احترقت كلها، من أجل أن لاتنجو، وتؤثر على المنطقة كلها.

وضع اعجازي آخر يتعلق بشراهة أحد الكهنة

كان يوجد في منطقة يورك نفسها أحد الكهنة الأغنياء، وقد تميز بقداسة موقعه بالوعظ، إنما مع كل الشره، وقد وقع في هذه الآونة مريضاً، واعتقد الأطباء أنه مصاب بمرض مميت، ونظراً لشهرته بالأفكار الدينية التي رعاها وتبناها، والتي كانت مضادة لآراء جميع المنطقة، تمت زيارته من قبل جيرانه من رعاة الديرة ورؤساء الرهبان، وهم غير عارفين أنه مثل ذئب في البهتان، ومثل ثعبان في الأعشاب، وبعدما رحب باحترام برجال الدين الذين جاءوا لرؤيته، لم يعط الرجل المريض الانتباه والتقدير إلى خلاص روحه، بل أخبرهم أنه صدوراً عن احترامه لهم قام بمنحهم كمية كبيرة من القمح موجودة في بلاطه غير مخزونة في مخازنه، وأن عليهم اقتسامها فيما بينهم حسبما يظهر هو الأفضل بالنسبة لهم، ثم خرج رعاة الديرة ورؤساء الرهبان بناء على أوامر الكاهن المريض، ليلقوا نظرة على القمح الممنوح إليهم، لكن لدى وصولهم إلى الأكداس، رأوا واقفاً على مقربة منهم رجلاً كأنه الكاهن

المريض الذي تركوه في البيت، يلبس مثله، وله المظهر الجسدي نفسه، وهو مشابه له من كل جانب من الجوانب، وخاطبهم هذا الشخص بحدة وقال لهم:

«ماالذي تريدونه هنا؟ أريدكم أن تعرفوا بأن هذا القمح كله، وكذلك الشخص الذي هو في كل مظهره مالك له، هو عائد إلي، لأن الكاهن الذي منح القمح إليكم هو خاضع إلي، وكل ما هو ملك له، هو ملك لي، لأنه قدم الولاء إلي بيدين مطبقتين، ويمكنكم أن تكونوا متأكدين بدون شك، أنه في اليوم الرابع من الآن سوف يموت، ووقتها سوف أسترد كل ماهو عائد إلي، مع الرجل الذي عملته غنياً عندما كان فقيراً»، وعندما سمع رعاة الديرة والذين كانوا معه هذا، أصيبوا بالرعب، وعادوا إلى الكاهن فوجدوه بالرمق الأخير، فأخبروه بكل الذين رأوه وسمعوه، وعندما أخبروه بأن الرجل ذاك عائد إلى الشيطان، أجابهم الكاهن بقوله:

«لقد تحدث بما هو صحيح لأنه قد مضى الآن عشرون عاماً من الوقت الذي كنت فيه رجلاً فقيراً، ووقتها قدمت الولاء إلى الشيطان الذي تحدث الآن إليكم، وذلك من أجل أن أتمكن من الحصول على مكانة أرضية وعلى ثروة دنيوية»، وعاد فور ذلك إلى الاستغفار وإلى الاعتراف، وتخلى عن الشيطان وعن جميع أعمال أبهته، ولقد تخلص من هذا كله بفضل الرحمة الربانية، ومن الآلام الجسدية، ومنح وقتاً كافياً للاستغفار، ومن هذا كان واضحاً تماماً بأن الرب لم يرغب بموت المذنبين، بل بالحري هو يفضل هدايتهم وحياتهم.

معجزة مدهشة وقعت خلال هذا العام

ومع أن الفصلين الذين كتبا أعلاه يريان بشكل واضح كيف أن جريمة الشره هي ممقوتة وينبغي أن ينظر إليها هكذا من قبل جميع

المسيحيين، سوف أضيف قضية ثالثة، كل كلمة فيها معتمدة على شهادة اثنين أو ثلاثة من الشهود، فبعدما تقدم العام الذي تحدثنا عنه أعلاه حتى وصل إلى شهر تموز، استمر يضغط بشدة على الفقير، الذي عانى يومياً من العوز، فقد اندفع الفقراء على شكل جماعات نحو حقول المحاصيل، والتقطوا سنابل القمح، مع أنها لم تكن قد نضجت بعد، وفركوها بأيديهم المرتجفة ساعين لدعم بريق الحياة غير السعيدة، الذي لم يكن ينبض في صدورهم، وهذه الحقيقة من الصعب توجيه اللوم إليها بين الفقراء، لأننا نقرأ في أعمال الرسل بأن حواريي المسيح قد فعلوا الشيء نفسه، وكان بعض عمال القرى، الذين لشدة شرههم كانوا دوماً يشكون بالفقراء، قد شعروا بالغضب الشديد لدى مرورهم بحقولهم ومن ثم اكتشافهم لهذه السرقة التقوية، وقام سكان بلدة اسمها البولديسلي Alboldesly في منطقة كمبردج، بالذهاب في الأحد التالي، الذي وافق السادس عشر من تموز، إلى كنيستهم وطلبوا وهم هائجين من الكاهن أن يعلن على الفور عقوبة الحرمان الكنسي، على جميع الذين التقطوا سنابل القمح من حقولهم، وبينما كان جميع الفلاحين يلحون على هذه النقطة، قام واحد من أهل البلدة وكان رجلاً متديناً وتقياً، عندما رأى بأن الكاهن كان جاهزاً للتفوه بالحكم، فرجاه باسم الرب القدير وباسم جميع القديسين، بأن لايدخله هو وحبوبه في الحكم، ثم إنه أضاف بأنه كان راضياً بما أخذه كل واحد من فقراء الناس من حبوب زرعه، وهم في حالة عوزهم، وأنه قد عهد بالذي بقي إلى عناية الرب، وعندما كانت البقية مصرة على متابعة غاياتها المجنونة، وقد بدأ الكاهن تحت الضغط بالتفوه بالحكم، هبت فجأة عاصفة رعدية، وبروق وزوابع، ترافقت بأمطار غزيرة غير معهودة ومعه برد تساقط بشدة، واقتلعت مزروعات القمح من الحقل بوساطة انفجار من الجحيم، والمواشي والطيور مع كل شيء قد نما بالحقول قد تعرض للدمار، وكأنما قد ديست المزروعات بعربات وخيول، وشوهدت في الهواء العالي

ملائكة الشيطان تطير هناك، وقد اعتقد أنهم وكلاء هذا العذاب، لكن بما أن الاحسان اللاهوتي مستمر نحو الناس الصالحين، إنه بعد توقف تلك العاصفة التي سببت الكثير من الأضرار لجيران ذلك الرجل الأمين والمستقيم، الذي زار حقله، فاكتشف أن مزارعه وأراضيه، وإن كانت في وسط ممتلكات الآخرين، أنها لاتحتوي على أي أثر من آثار أضرار العاصفة، وظهر من هذا واضحاً أكثر من النور، أنه مثلما أعطي المجد للرب في الأعالي من قبل ملائكته، هناك سلام ونوايا طيبة على الأرض نحو الناس، وبدأت هذه العاصفة على حدود بدفورد، وعبرت نحو الشرق خلال جزيرة إيلاي، ونورفولك، ووصلت إلى شاطىء البحر، وفي الحقيقة ثارت في هذا العام عدة عواصف من طبيعة مماثلة في أماكن متعددة، وكانت عواصف مرعبة، كما كانت مؤذية لكثيرين، وبدا مثل هذا وضعاً غريباً أن المزروعات التي بقيت بعد العاصفة، قد اكتشف أنها منتنة إلى حد أنه لاالخيول، أو الحمير، أو الثيران، أو الخنازير، أو البط، أو الدجاج، قبلوا أكلها، مع أنها قدمت إليهم للتغذي بها.

الخلاف الذي تفجر بين البابا وبين الرومان

نشب في هذا العام خلاف جدي بين شعب روما وسكانها من جهة وبين البابا من الجهة الأخرى، وكانت أصول أسبابه كما يلي: ادعى سكان المدينة لأنفسهم امتياز، هو أن الحبر الروماني لايمكنه لأي جريمة من الجرائم إنزال عقوبة الحرمان الكنسي بأي واحد من سكان المدينة، أو حرمان أي علماني من أهل المدينة من شراكة المؤمنين، وفي جواب على هذا قال الحبر الأعظم، أنه و إن كان أدنى من الرب، هو كان أعلى من أي انسان، وبذلك هو أعلى من سكان روما وسيداً عليهم، وبما أنه كان والدهم الروحي، هو ينبغي أن يعاقب أبناءه المذنبين، وهو أيضاً يمتلك الحق بفعل ذلك لأنهم رعيته في الايمان

بالمسيح، وبناء عليه هو بإمكانه قانونياً انزال عقوبة الحرمان الكنسي وأن يضع المدينة تحت عقوبة الحرمان من شراكة المؤمنين، وذلك عندما يتوفر سبب منطقي لفعل ذلك.

ومجدداً جبت سلطات روما ومجلس شيوخ المدينة من الكنيسة الرومانية جزية سنوية، وقد دفعها البابوات الرومان بموجب عادة موجودة حالياً وكانت قديمة، واستمرت سلطات المدينة ومجلس الشيوخ بقبضها حتى أيام البابا الحالي، وعلى المطالبة بذلك قال البابا، بإنه إذا كان قد حدث في أيام اضطهاد الكنيسة الرومانية، قد لجأت هذه الكنيسة في سبيل الدفاع عن نفسها، ومن أجل السلام، فأقدمت أحياناً على منح أعطيات كبيرة وهدايا إلى سلطات المدينة، فهذا ينبغي عدم تحويله إلى عادة، فالذي ينبغي عدّه عادة هو ماتأسس على الحق، وكان مؤيداً بالمنطق، والذي هو أكثر من هذا هو أن المسيح على صليبه قد جعلها محررة تماماً بوساطة دمه، حتى أن أبواب الجحيم سوف لن تفوز ضدها، ولهذه الأسباب ولأسباب أخرى نشب الخلاف بينه وبين الرومان، وقام البابا مع كرادلته بمغادرة المدينة، وذهب إلى بيروجيا Perugia للاقامة، طالما الخصام مستمر، وفي الوقت نفسه ازداد الرومان جرأة في معارضتهم له، فهدموا بعض أبنيته في المدينة، ولفعلهم هذا حرموا كنسياً من قبله، كما أنه جعل نفسه موضع حظوة عند الامبراطور، وحشد جيشاً كبيراً ليقاوم حملات الرومان، ثم قامت الجيوش المتحدة للامبراطور وللحبر الأعظم بتهديم حوالي ثمان عشرة قرية، كانت مسكونة من قبل هؤلاء الرومان، وقائمة حول المدينة، وقطعوا أشجارهم في بساتينهم، وغضب سكان المدينة تجاه هذا، وأقلعوا بهجوم من روما في الثامن من تشرين الأول، وقد بلغ تعدادهم مائة ألف رجل مسلح، وذلك من أجل نهب مدينة فيتربو واحراقها، لأنها كانت ملكاً للبابا، ولكن عندما خرج هذا الحشد الأحمق من

المدينة، وكان أفراده يزحفون دونما تقدير للنظام، بل كانوا مجموعات فوضوية، انقضت عساكر البابا والامبراطور المدربة عليهم من أماكن الكمائن، واندفعت نحو الرومان، فأحدثت مذبحة مرعبة بينهم، لكن مع بعض الخسائر لأنفسهم، وسقط من الجانبين حوالي الثلاثين ألفاً، وجاءت الخسائر الأعظم، عندما عهدوا بأنفسهم إلى الفرار نحو المدينة، وفرقوا أنفسهم في جميع الاتجاهات، وامتلأت الآن قلوبهم بحقد كبير ضد البابا، لأن عدداً كبيراً من ذوي المراتب العليا من أهل المدينة قد سقطوا في هذا الصراع، واستمر الخصام بين الفئتين المتنازعتين لمدة طويلة، لكن الرومان وجدوا دوماً أن حظ الحرب كان دوماً ضدهم.

ومات في هذه السنة هيوج فوليوت Foliot أسقف هيرفورد، وقد خلفه المعلم رالف دي ميدستون Maidstone وكان رجلاً مدهشاً بعلومه، وقد تلقى السيامة على يدي ادموند رئيس أساقفة كانتربري.

ختان صبي مسيحي من قبل اليهود

عام ١٢٣٥م، الذي كان العام التاسع عشر لحكم الملك هنري، فيه عقد الملك بلاطه في عيد الميلاد في ويستمنستر، وقد حضره أساقفة ونبلاء المملكة، وفي الوقت نفسه، والمكان عينه جلب إلى أمام الملك سبعة من اليهود، الذين كانوا قد سرقوا طفلاً من بلدة نورويك، واحتفظوا به كلياً بعيداً عن أنظار المسيحيين، وقاموا بختانه، وكانوا عازمين على صلبه في الفصح، وقد وجدوا حول هذه الحقيقة بأنهم مجرمين، وفي حضرة الملك اعترفوا بالحقيقة، وقد بقيوا في السجن وحياتهم وأطرافهم قيد إرادة الملك.

وفي العام نفسه، في السابع من شباط، مات هيوج أسقف لنكولن، وعدو كل الرهبان، وقد دفن في الكنيسة الكاتدرائية في لنكولن في العاشر من الشهر نفسه، وقد خلفه المعلم روبرت غروستيست

Grosseteste وكان رجلاً صالحاً ومتديناً، وبارعاً في العلوم المقدسة، وجرت سيامته من قبل ادموند رئيس أساقفة كانتربري، في الثالث من حزيران في ردنغ، وأبدى رهبان كانتربري اعتراضهم ضد تكريسه، في أي مكان غير بلدته، وأخيراً سمحوا بذلك بهذه المناسبة، شرط أن لايتحول ذلك إلى عادة بعد الآن.

وفي تلك الآونة، بعد عيد طهارة القديسة مريم، عمل ستيفن سيغريف وروبرت باسلوي صلحهما مع الملك، بوساطة دفع ألف مارك، لكنهما لم يرجعا إلى مكانتهما وحظوتهما لديه.

وفي حوالي هذا الوقت أيضاً، في الرابع والعشرين من شباط، مات هنري دي ساندفورت Sandfort أسقف روكستر، وإثر موته انتخب رهبان ذلك المكان المعلم رتشارد دي ويندين Wendene وكان رجلاً متمكناً من العلوم الحرة، لكن عندما جرى تقديمه من قبل الرهبان إلى ادموند رئيس أساقفة كانتربري من أجل تثبيت انتخابه، لم يجر استقباله من قبل ذلك الأسقف، وبناء على ذلك عمل الرهبان مرافعة استئناف إلى البابا.

موت راعي الدير وليم وخلافة جون له

في اليوم التالي لعيد الرسول متى في السنة نفسها، مات وليم راعي دير القديس ألبان، بعدما أدار تلك الكنيسة لمدة عشرين سنة، وحوالي الثلاثة أشهر، ودفن في السابع والعشرين من شباط في بيت هيئة الرهبان، ثم حصل المجمع الديري على إذن الملك لاختيار راعي دير جديد، وفي اليوم الذي أعقب عيد البشارة إلى القديسة مريم، انتخبوا وسط كل المهابة جون رئيس رهبان هيرفورد، وكان واحداً من رهبانهم المحترفين، وقد اختاروه مسؤولاً عن أرواحهم، وقد جرى تقديمه إلى الملك في يوم أحد السعف، وقد استقبل بترحاب من قبله، وجرى

ارسال بعض رهبان وكهنة تلك الكنيسة إلى بلاط روما، وكانوا ممن وظيفة الخاصة وواجبه ذلك، أي العمل في سبيل الحصول على تثبيت للانتخاب، الذي حصلوا عليه دون مصاعب، وعادوا إلى وطنهم مع المباركة الرسولية، وفي اليوم الذي أعقب عيد ميلاد القديسة مريم، الذي كان يوم أحد، تلقى راعي الدير المنتخب المذكور المباركة كراعي دير من روجر أسقف لندن، وخلال هذه المدة الفاصلة، بقي الدير مع متعلقاته بلطف من الملك تحت عهدة الرهبان، من دون توقف لامتيازات الضيافة.

وحصل اليهود في هذا العام من البابا الروماني على امتياز عدم تعرضهم لسوء المعاملة من قبل الملوك أو الأمراء، وذلك عن طريق استخراج المال منهم، أو تعريضهم للسجن.

وفي الوقت نفسه لدى اقتراب عيد الفصح، ذهب بطرس أسقف أوف وينكستر إلى روما، بناء على استدعاء من البابا، لترتيب متابعة اجراءات الحرب التي كان قائماً بها ضد الرومان، لأن ذلك الأسقف، عندما كان شاباً في خدمة المقاتل المشهور رتشارد، وكذلك جون ملكي انكلترا، معهما تعلم قديماً استخدام الدرع قبل أن يرتدي الثوب الكهنوتي، وكان قادراً على تعبئة الجيش قبل أن يمارس التبشير بكلمة الإيمان.

الدعوة إلى حملة صليبية

في هذه السنة التي كانت السنة الثامنة عشرة التي جاءت بعد السنة التي عملت فيها هدنة العشر سنوات في أرض الميعاد، بين الامبراطور الروماني فردريك وبين سلطان مصر، جرت الدعوة إلى حملة صليبية خلال جميع أرجاء المسيحية، بناء على مبادرة من البابا غريغوري الذي بعث برسائل إلى مختلف أجزاء العالم، جاءت كمايلي:

- ٦٧٢٨ -

مذكرة البابا

«من غـريغـوري، عبـد عبيــد الرب، إلى جميع العبيـد المؤمنين لمولانا يسوع المسيح المقيمين في انكلترا، تمنيات الصحة مع المباركات الرسولية، مثل راحيل من قبل عندمـا رأت بـداية أولئك الذين ترعـرعـوا في ظل المعركة الحقيقية لخلاصهم، هي أيضاً الكنيسة الرومانية، التي أسفها كبير من أجل الدمـار المتبادل لأولادها، قـد أصـدرت التنهدات ومـابرحت تصـدر التنهـدات مع الآهات والآلام، التـي نأمل بأن تسمع في السماء، وأن يستمـــر المؤمنون بالنحيـب وبالبكاء حتـى يتــولى الـرب رحمتهم، والكنيسـة تبكي لأن بيت الخبـز اللاهوتي، وجبل صهيـون، ومن حيث صـدرت الشريعة ونشرت، ومن مـدينة الملك العظيم التي جاءت عنهـا كثير من أحـاديث المجـد، ومن الأرض التي قـدسهـا ابن الرب بسفكه لدمـه، هنـاك من أجلنا ضـاعت قــوة المملكة وجمالها، وهي تبكي لأنها كانت مرة أرضاً حرة، وهي الآن تحت نير طغيان غير تقي، وهي تبكي، لأنه هناك حيث غنـت الحشـود السماوية الكثيرة أغــاني الســلام، ظلم الشعب الذي هو أكثـر الناس عـدم طهـارة، فقـد أثار أعمال العـدوان، وخبأ الشرور، والانشقاقـات، وهو يحرك الحرب ويثيرها، وقد مـدّ يده، وطرد من هيكل الرب سيامة الأسقف، وشرائع الطبيعة نفسها من أجل إحلال تلـك الدناسة والقـذارة محلها، ولهذا تدنست القـدس في سبتها، وتلوثت من قبل أعدائها، لأنـه مع أن المدينة المذكورة، إلى جانب هيكل الرب، قـد استردت منذ بعض الوقت الذي مضى، إلى ولدنا المحبـوب جـداً في المسيح، فـردريـك الامبراطور الرومــاني، وأوغسطس وملك صقليـة المشهـور، لكن بما أن الرب القـدير لم يتلطف آنذاك بمنح المزيد من المجد للمسيحيين عمل الامبراطور المتقدم الذكر هدنة مع السلطان، نهايتها الآن قـد اقتربت، إلى حد أن الوقت المتبقي من المعتقـد أنه لم يعد كافياً من أجل الاستعدادات، مالم نسرع فنقوم بالاستعدادات الضرورية

بكل عجلة، وبثقة وبإيمان فيه حرارة، لذلك ينبغي أن لايتخلف أحداً عن القيام بالحج من أجل ضمان تلك الأرض، وفي سبيل القتال من أجل بلدهم، مع أمل أكيد بالنصر، أو بالموت في سبيل تاج المجد، ومن أجل الحياة، ومن أجل تحمل الشدائد والمصاعب لبعض الوقت في سبيله ولصالحه، وهو الذي كره الإغواء، وتحمل البصاق عليه، وضرب بقبضات مضطهدية، وجلد وتوج بالشوك، وأخيراً ضرب بالمسامير على الصليب، حيث أعطي المرارة ليشربها، وطعن بحربة، وسلم نسمة الحياة بصوت مرتفع، هكذا أنهى حياته الدنيوية، وهو مقهور بالإهانات، من أجل حفظ الجنس البشري، وهو الذي، إذا ما أردنا الحديث بشكل أكثر تفصيلاً، لم يرفض النزول من عرش مجد أبيه، طاوياً السموات بشكل رائع تحته، وهو الذي من أجل حالة موتنا، لم يرفض التحول من كونه رباً ليصبح انساناً، ومن كونه خالقاً لأن يكون مخلوقاً، ومع أن الرب أخذ شكل عبد، من أجل أننا نحن الذين لايمكن أن نأمل بالغفران بموجب صلاحنا، يمكن أن نحصل على نعمة لم يسمع بمثلها، حتى نصبح ورثة الرب، ونتحد بالوراثة مع المسيح، ونشارك باللاهوتية، وننال نصيبنا في السعادة الأبدية، ومع أنه جرى تبنينا من قبله من خلال نعمته، نحن نقدم يومياً براهين على نكراننا للمعروف، ومع ذلك منحنا وفرة من الأشياء الجيدة، مثلما، حتى يبرهن على إيمان أتباعه، جعل الأرض التي بإرادة منه ولد فيها، ومات، وقام ثانية، تعاني من الاستيلاء عليها مطولاً والاستحواذ عليها من قبل الكفار، مع أن يد الرب لم تضعف، كما أن فضائله لم تزل بأي شكل من الأشكال، لأنه وهو الذي عمل الأشياء كلها من لاشيء، يمكنه بلحظة واحدة أن يجعلها حرة، إنه يطلب من رجال نعمة الحب والرحمة، أن يظهروا الاستيعاب الكامل والتطبيق النهائي للشريعة، فهو أولاً تلطف بالشفقة على الانسان في حالته المدمرة، وهو لن يسمح بأي حال من الأحوال للأيدي غير التقية بأن تقوى كثيراً وتشتد ضد الأتقياء، إذا لم يهتم بأن

أذانا ينبغي الانتقام له من خلال فوضانا، وأن يتم الحصول على نظامنا من نصره، وهكذا فإن الغارقين بأعماق الذنوب، وغير القادرين بأي حال، على عمل تكفير، هؤلاء الناس كانوا سيغرقون أكثر في ذلك البحر من الآثام بشكل يائس لولا أنه مدّ لهم لوحاً، ومنحه إليهم على هذه الشاكلة، حيث صار بامكانهم عن طريق الموت في سبيل المسيح، بيسر الوصول إلى الكمال لسنين طوال، لأن كثيرين ممن رغبوا في رؤية الأراضي التي وقف عليها مولانا، قد وصلوا إلى هدفهم من دون التعب في السباق، ونالوا التاج من دون محنة السيف وذلك من خلاله وهو الذي يجازي عساكره المؤمنين المخلصين، وهو ينظر فقط إلى الإرادة الطيبة في خدمته، وهكذا نحن نثق برحمة الرب القدير، وبسلطة رسوليه:

القديس بطرس، والقديس بولص، وبالقدرة على الربط وعلى الحل التي أعطاها الرب إلينا، وبموجب ذلك إننا نمنح إلى جميع الذين سوف يشاركون بأشخاصهم، وعلى نفقتهم الشخصية، أو الذين سوف يجهزون رجالاً موائمين عوضاً عنهم، أو الذين سوف يذهبون على نفقة آخرين، أو الذين سيقدمون مالاً يمكن به تقديم المساعدة إلى الأرض المقدسة، أو الذين سوف يقدمون النصيحة أو المساعدة من أجل الغاية نفسها، هؤلاء جميعاً نحن نمنحهم غفراناً كاملاً عن ذنوبهم التي سوف يستغفرون منها في قلوبهم، وسوف يعترفون بأفواههم، ونحن نتكفل بأن يبقى كل الذين سوف يحملون الصليب من كل من رجال الدين والعلمانيين، بأشخاصهم وممتلكاتهم آمنين تحت حماية القديس بطرس ونحن أنفسنا، وحماية رؤساء الأساقفة والأساقفة وقساوسة الكنيسة، حتى الحصول على معلومات مؤكدة عن موتهم أو عودتهم، وخلال تلك الآونة، مامن جباية ربا أو فائدة سوف تؤخذ منهم أيضاً، أو تجبى سواء من قبل يهود أو مسيحيين. صدر في سبوليتو Spoleto في

الرابع من أيلول في السنة الثامنة من بابويتنا».

وعيّـن البـابا أيضاً رهباناً من طائفة الفـرنسيسكان والمبشرين للدعوة إلى الصليب في جميع أنحـاء العـالم، مع معلمين قـادرين في اللاهوت، الذين انطلقوا يعملون بالانجيـل، وتعاون الرب معهم، وثبت تبشيرهم في العلامات التالية:

فقد امتلكت كل منطقة بوساطة الوصـاية الرسولية رئيس شمامسة لها وعمداء تولوا جمع الناس في الأسقفيـة كلهم من نساء ورجـال مكفرين كل من يهمل حضور أعمال وعظهم.

معجزة تتعلق بامرأة كانت أطرافها متقلصة

في الحادي عشر من حـزيـران من العـام نفسـه، كـان روبرت لاوي Lawes وهو راهب من طائفة الفرنسيسكان، يبشر بالانجيل لصالح الحملة الصليبية في بلدة كلير Clare وكانت هناك احدى النساء، قد حـرمت من استخدام جميع أطرافهـا منذ ثلاث سنوات، وكـانت تخشى عقـوبـة الحرمـان الكنسي، وقـد أعطت المبلـغ الصغير من المال الذي امتلكته إلى أحد الجيران، ليحملها على كتفيه إلى المكان الذي كان روجر يبشر فيـه، واستلقـت هناك وهي تئـن وتنوح حتى أنهى رجـل الرب موعظتـه، وذلك عندما أثيرت عاطفة الرحمة لديه، لدى سماعـه نواحها، ورؤيتها وهي مستلقية هناك، فذهب إليهـا وسألها عن سبب قدومها إلى هناك، فأجابته بأنها من خلال الخوف من الحرمان الكنسي قد جلبت إلى مكان تبشيره، وبناء على ذلك أمـرها بالذهاب إلى بيتها، دون أن يعـرف بأنها قد فقدت استخدام أطرافها، ولدى اخباره من قبل الموظفين هناك، بأنها فقـدت استخـدام أطرافهـا تمامـاً منذ ثلاث سنوات، سألها عما إذا كـانت تعتقـد بأن الرب قـادر بما فيه الكفـاية، أنه إذا رغب بتحـويلهـا صحيحـة فعل، وقـد ردت على هذا: «إنني أؤمن بهذا ياسيـدي»، وعند

ذلك أخذ رجل الرب بذراعي المرأة، ورفعها نحو الأعلى بثقة، وهو يقول في الوقت نفسه: «أرجو الرب القدير، الذي تؤمنين به، أن يحوّلك إلى سليمة»، وعندما أمرها بالوقوف والنهوض، فعلت ذلك، واضعة ثقتها في الرب، ولدى محاولتها الوقوف بدأت عظامها وأعصابها فجأة تطقطق، حتى أن الواقفين هنا اعتقدوا أن أطرافها قد تكسرت إلى قطع، وقد عادت هكذا —على كل حال— إلى سلامتها الماضية، وعادت إلى بيتها مسرورة، تسبّح الرب وتمجده لإضفائه مثل تلك القدرة على عبده.

كيف طلب الامبراطور أخت ملك انكلترا للزواج منها

وصل في شهر شباط من هذا العام اثنان من الداوية، مع بعض الفرسان والرسل الخاصين، إلى الملك في ويستمنستر، مكلفين برسائل مختومة بالذهب من الامبراطور فردريك، يطلبون يد ايزابل أخت الملك الانكليزي للزواج، وقد وصلوا إلى الملك في الثالث والعشرين من شباط، ورجوه تقديم جواب للرسائل وللطلب، حتى يتمكنوا من إعلام مولاهم بكل سرعة بقرار الملك، وعندها عقد الملك مداولات دقيقة مع أساقفة ونبلاء مملكته لمدة ثلاث سنوات، وبعدما قلبوا جميعاً وجوه القضية، وفحصوها بكل دقة، وافقوا بالاجماع بأن السيدة ينبغي أن تعطى إلى الامبراطور، وفي السابع والعشرين من شباط، أعطى الملك جوابه بالموافقة على التحالف المطلوب، وعند ذلك طلب الرسل الإذن برؤية السيدة، وبعث الملك بعض الرسل الموثوقين لاحضار أخته من برج لندن حيث كانت محروسة بعناية، ورافقها الرسل مع كل التكريم إلى الملك في ويستمنستر، حيث ظهرت أمام رسل الامبراطور، و كانت سيدة في العشرين من عمرها، جميلة أن تنظر إليها، مزينة بعذراوية لطيفة، ومتميزة بملابسها الملكية وبأخلاقها، وبعدما أنعشوا نظرهم لبعض الوقت بالتحديق بالسيدة، قرروا أنها الأعظم جدارة من جميع

الجوانب للسرير الامبراطوري، وثبتوا الزواج عن نفس الامبراطور باليمين، وقدموا لها خاتم الزواج باسمه، وبعدما وضعوه باصبعها أعلنوها امبراطورة روما، وصرخوا «عاشت امبراطورتنا»، ثم إنهم أرسلوا رسلاً، بكل سرعة لإخبار الامبراطور بالذي عملوه، فقام بعد عيد الفصح مباشرة بارسال رئيس أساقفة كولون، ودوق لوفين Lou-vaine مع صف طويل من النبلاء إلى انكلترا، لإحضار الامبراطورة إليه، وسط التكريم المستحق، ولإكمال احتفالات الزواج، حتى يتمكن من الدخول بها.

زينة عرس الامبراطورة والتحضيرات الفخمة

كانت هناك وفرة عظيمة من الزينة في هذا الزواج، بدت أنها تفوق الثروة الملكية، لأن الامبراطورة نفسها عمل لها تاج وصنع بشكل دقيق من الذهب الخالص، وزين بالجواهر، وحفر عليه صوراً تشبه الشهداء الأربعة والملوك المعترفين لانكلترا، الذين إليهم عهد الملك بشكل خاص العناية بروح أخته، وقد أشرقت بهذه الوفرة العظيمة من الخواتم والأطواق الذهبية، وجواهر أخرى فخمة، مع ملابس من الحرير والسلك الناظم، مع زينة أخرى مماثلة، التي تجذب بالعادة الأنظار وتثير رغبة النساء إلى حد الحسد، حتى بدوا أنهم لايقدرون بثمن، مع ثياب للعرس من الحرير، والصوف، والسلك الناظم، وكانت مزودة بشكل جيد، حتى بات من الصعب القول أيها سوف يجذب أكثر اهتمام الامبراطور، وكان سريرها ثرياً جداً بأغطيته ووساداته، وبألوانه المتعددة، مع مختلف أنواع الأثاث، وكانت الملاءات مصنوعة من الكتان الناعم الممتاز، إلى حد أنهن بنعومتهن كن يغرين المتمدد عليهن بنوم رائع، وكانت جميع أقداح الشرب من الذهب الخالص ومن الفضة، والذي ظهر أنه متفوق على كل شيء، هو آنية الطبخ، كبيرها وصغيرها، حيث كانت من الفضة الخالصة، ومن أجل ادارة هذا كله، والاهتمام

بهذه الأشياء، جرت إنابة خدم البلاطات وندبهم لخدمة الامبراطورة وأسرتها بطريقة ملكية، وبعدما جرى تزويدها بهذا اكله وبهدايا أخرى من أخيها، وبعدما تسلمت بائنتها منه، بقيت السيدة ايزابل تحت عناية أسقف اكستير، ورالف فتز— نيقولا، قهرمان الملك، ونبلاء آخرين من آل بيته، وتولى العناية بها سيدات نبيلات وعقيلات كن جميعاً بارعات بالأخلاق الملكية، وكان فيهن كفاية لخدمة الامبراطورة ومرافقتها، وبعد ترتيب الأمور على هذه الصورة، عقد الملك في يوم عيد القديس يوحنا احتفالاً مهيباً أمام البوابة اللاتينية في ويستمنستر، برفقة رئيس أساقفة كولون، والرسل الآخرين للامبراطور، وفي اليوم التالي أخذ الجميع الطريق نحو منطقة دارتفورد مع مرافقة الملك الذي كان بصحبته قطار كبير من الايرلات والبارونات، واشترى الامبراطور للسيدات اللائي سرن في موكب الامبراطورة عدداً من الخيول المتميزة بألوانها المتنوعة، وخطواتها اللطيفة، والتي تحمل ركابها بمتعة ولطف، دون أن تزعجهم بأية حركة من حركات أقدامهم، وكانت الركابات والسرج مذهبة أيضاً ومحفورة ومن أنواع كثيرة، وكانت اللجم والمقاود محكمة الصنع ومذهبة، وهي مريحة للراكب وللمطية أيضاً، وساروا من خلال مدينة روكستر، ووصلوا إلى دير فيفرهام Feversham وشرعوا من هناك فوصلوا إلى كانتربري، ليمارسوا عباداتهم وليقدموا تعبداتهم إلى توماس، رئيس الأساقفة الشهيد، وبعد تأديتهم لواجباتهم الدينية تابعوا السير إلى ميناء ساندويش، وكانوا قد بلغ تعدادهم حوالي الثلاثة آلاف فارس، ومن ذلك الميناء أقلعت الامبراطورة ورئيس أساقفة كولون مع النبلاء والسيدات، الذين جرى تعيينهم في حاشيتها، وكان الإقلاع في الحادي عشر من أيار، والانطلاق في البحر تحت أشرعة كاملة، ولم يكن الفراق —على كل حال— من دون بكاء بين الأخ والأخت، أي بين الملك والامبراطورة.

وصول الامبراطورة إلى كولون

وبعد رحلة استمرت ثلاثة أيام وثلاث ليال، دخلوا إلى مصب نهر الراين، وبعدما ساروا لمدة يوم وليلة صاعدين في النهر، وصلوا إلى أنتويرب Antwerp وهي مدينة كانت تحت الحكم الامبراطوري، ولدى نزولهم إلى اليابسة هناك استقبلوا بحشد كبير جداً من الرجال المسلحين، كانوا قد أرسلوا من قبل الامبراطور، ليعملوا بمثابة حرس للامبراطورة، وليتولوا حراستها بيقظة نهاراً وليلاً، لأنه قيل بأن بعضاً من أعداء الامبراطور، الذين كانوا متحالفين مع الملك الفرنسي كانوا يخططون لخطف الامبراطورة ومنع الزواج، وقد قوبلوا من قبل جميع الكهنة ورجال الدين العائدين للمناطق المجاورة بمسيرات مهيبة، وهم يقرعون الأجراس ويغنون الأغاني المبهجة، وجاء معهم أفضل المعلمين بكل نوع من أنواع الموسيقى مع آلاتهم، وقد رافقوا الامبراطورة مع جميع أنواع الأغاني الزفافية المبهجة خلال رحلتها، التي استغرقت خمسة أيام إلى كولون، وعندما صار موعد اقترابها معروفاً في ذلك المكان، خرج إلى استقبالها، مع الورود، وسعف النخيل، وبثياب العيد، حوالي عشرة آلاف من سكان المدينة وهم يمتطون الخيول الاسبانية، وبرفقة هذه الحشود الفرحة، سارت الامبراطورة خلال الشوارع الرئيسية للمدينة، التي كانت مزينة بمختلف الطرق والأنواع من أجل وصولها، وعندما علمت بأن كل انسان، ولاسيما السيدات النبيلات من أهل المدينة اللائي جلسن في الشرفات، كن يرغبن برؤية وجهها، رفعت قبعتها والغطاء عن رأسها، من أجل أن يراها الجميع، وبعملها هذا نالت الاطراء من كل انسان، وبعدما نظروا إليها وحدقوا بها أعطوها ثناء كبيراً من أجل جمالها، ومن أجل تواضعها، ثم اتخذت مقراً لها خارج أسوار المدينة، بسبب الضجة التي كانت فيها، وانتظرت هناك تعليمات الامبراطور.

زواج الامبراطور والامبراطورة في وورم

في الوقت الذي وصلت فيه الامبراطورة إلى كولون، كان الامبراطور مشغولاً بالحرب ضد ابنه الذي تمرد ضده، وقد قاد والده جيشاً كبيراً جداً ضده، حتى أنه ألقى الحصار على عشرة من قلاعه في وقت واحد، وقد اتخذ ابنه موقف الدفاع في واحدة من هذه القلاع، كانت هي الأقوى، إنما لدى إلقاء أبيه الحصار عليها، ولخوفه من شدة أبيه، ترك القلعة، وألقى بنفسه عند قدميه، والتمس منه رحمته، وكان الأب —على كل حال— بلا رحمة، فأمر به فوضع بالأغلال، وحمله معه إلى وورم، ومن هناك أرسل رسالة إلى الامبراطورة بأن تأتي إليه إلى هناك، وبذلك كانت قد أقامت ستة أسابيع في كولون، وعند ذلك انطلق رئيس أساقفة كولون وأسقف اكستير، مع النبلاء الآخرين الذي كانوا في حاشيتها، وأخذوا طريقهم فوراً نحو الامبراطور، وبعد رحلة سبعة أيام، أحضروا الامبراطورة وسط جميع أنواع الأبهة الاحتفالية والفرح، وقد استقبلت لدى وصولها من قبل الامبراطور بسرور واحترام، وبفرح فاق جميع الحدود بسبب جمالها، وتم الزواج بشكل مهيب في ذلك المكان في يوم الأحد العشرين من تموز، ومع أن جمالها قد أفرح الامبراطور لدى نظرته الأولى إليها، هو ابتهج أكثر بعد الزواج، وبعد استمرار الاحتفالات البهيجة لمدة أربعة أيام متواصلة، حصل أسقف اكستير والبقية الذين رافقوا الامبراطورة إلى هناك، على الاذن من الامبراطور بالمغادرة، وعادوا مبتهجين إلى انكلترا، آخذين معهم منه هدايا إلى الملك الانكليزي ثلاثة فهود مع هدايا أخرى ثمينة كانت نادرة في بلدان الغرب، ووعده الامبراطور أيضاً بمساعدته ضد الملك الفرنسي.

النسب النبيل للامبراطورة

ولقد كان هناك —على كل حال— كثيرون، في الامبراطورية الرومانية، الذي اعتقدوا، أنه انزال من قدر الامبراطور، وحط من

شأنه، وهو الذي كان قوياً جداً، وغنياً، وكان بحكم وضعه سيد العالم وحاكمه أجمع، أن يتزوج من أخت ملك انكليزي، لكن كما يعلم كثيرون إن هناك المزيد من الفخار في أن يكون الانسان من أصل نبيل، أكثر منه أن يكون غنياً، وعلى القارىء أن يعرف أن والد هذه الامبراطورة كان جون ملك انكلترا، وأن الملك الحاكم الآن لانكلترا، هو هنري أخاها، وأن الملوك المشهورين:

هنري، ورتشارد، وغيوفري كونت بريتاني، كانوا أعمامها، وهؤلاء الملوك يتمتعون بالشهرة لنبالة أصلهم، وقد حكموا انكلترا وايرلاندا، منذ أن كانوا ملوكاً، وحكموا في نورماندي وأكوتين بمرتبة دوق، وفي بواتو وأنجو بمرتبة كونت، وبالاضافة إلى ذلك امتلاكهم الإدعاء بحق السيادة على: تورين، ومين، وبري، وأوفرين، وكان لديهم في جميع هذه المناطق سبعة رؤساء أساقفة خاضعين لهم، مع ملكي اسكوتلندا، وويلز، وجزيرتي ايرلاندا، ومان، وإلى جانب هؤلاء عدد لايحصى تقريباً من الأساقفة، والايرلات، والبارونات، والفرسان، وكانت أم الامبراطورة ملكة على جميع هذه البلدان، وبالنسبة لأختيها، كانت الأولى ملكة الاسكوتلنديين، وكانت الثانية كونتسة بيمبروك، وكان لها خمس عمات: كانت أولاهن زوجة ألفونسو ملك قشتالة، وأم بلانشي ملكة فرنسا (التي ابنها لويس يحكم الآن في تلك المملكة)، وقد تزوج روجر ملك صقلية بواحدة أخرى، وتزوجت الثالثة من هنري دوق سكسوني، وصارت أم أوتو، الذي صار فيما بعد امبراطور الرومان، والذي أخوه من هنري دوق سكسوني صار فيما بعد ملك القدس، وكانت الرابعة زوجة ريموند كونت طولوز، وقد تزوج روتروك Ro-troc كونت بيرشي Perche من الخامسة، وبهذا وبأشياء أخرى بدت الامبراطورة أنها «انحدرت من نسل الملوك»، لأن أبيها الملك جون المتقدم الذكر، كان ابن الملك هنري المشهور، وكان هنري هذا، هو

ابن الامبراطورة مـاتيلدا، ابنـة هنري الأول، ملك انكلترا، من ملكتـه ماتيلدا، وكـانت ماتيلدا هذه ابنة مـالكوم ملك الاسكوتلنديين، وملكته القديسة مـرغريت، وكانت مرغـريت ابنة ادوارد من أغاثا، أخت هنري الامبراطور الرومـاني، وكـان ادوارد هذا ابن ادمـوند الملك الانكليـزي، الذي كان لقبـه «الأطراف الحديدية»، الذي كان ابن الملك إيثلرد Eth-elred وكـان والد إيثلـرد إدغـار Edgar«المسـالم»، وكـــان والد الأخير هو ادموند، وكان والد ادموند هذا ادوارد الأول، الذي كان ابن ألفـرد Alfred الملك الواسع الشهـرة، وأعيـــد نسب هذا الملك في التـواريخ الانكليـزية، إلى آدم، أبـانا الأول، وبهذا وضح أن امبراطورة انحـدرت من أجداد كـانوا محترمين في كل جانب من الجوانب، جـديرة بالزواج من الامبراطور.

وإلى ها هنا وصلت تواريخ المعلم روجر دي ويندوفر.

«وهكذا كان في هذه الصفحات تاريخ عصرنا،

وهناك مايزال في الغيب كتّـاباً سوف يتولون من بعـد الآن إخباركم بالمزيد».

النهاية